

يُحْكِي أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ طِفْلٌ صَغِيرٌ ، وَيُعْجَبَانِ بِهِ فِي لُطْفِهِ وَذَوْقِهِ وَذَكَائِهِ ، وَبَيَّعَدَ عَنْهَا كُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ ، وَيَقُولُ أَقْوَالاً مِنْ عِنْدِهِ ، وَلَا يَلْتَزِمُ الصَّدَقَ فِيمَا يَقُولُهُ وَمَا يَفْعَلُهُ . وَقَدْ تَأَلَّمَ أَبَوَاهُ كَثِيرًا لَوْجُودِ هَذَا الْعَيْبِ الْقَبِيحِ فِي ابْنِهِمَا ، لِأَنَّهُ عَرَفَ بِالْكَلِمِينَ بَيْنَ أَهْلِهِ وَأَصْدِقَائِهِ وَزُمَلَانِهِ فِي الْمَدْرَسَةِ ، وَاخْتِلَاقِ الْأَخْبَارِ ، بِالنَّصِيحَةِ حِينًا ، وَلَكِنَّهَا لَمْ تَنْجَحْ فِي إِصْلَاحِهِ . وَاجْتَهَدَ أَبَوَاهُ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ مِنَ الْوَسَائِلِ أَنْ يَهْدِيَهُ وَيُؤَدِّبَهُ بِالتَّهْدِيدِ مَرَّةً ، وَكَثِيرًا مَا قَالَ لَهُ : إِنَّهُ لَا يَصِحُّ أَبَدًا أَنْ تَكْذِبَ يَا حُسَام . وَلَا أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ أَنَّكَ كَذَّابٌ . وَسَاحَمُكَ الذَّهَابَ مَعَنَا إِلَى الْخِيَالَةِ (السينما) ، وَأَهْرَامَ الْجِيزَةِ إِذَا كَذَّبْتَ ثَانِيَةً ، وَكَثِيرًا مَا عُوِقِبَ حُسَامٌ بِهَذِهِ الْعُقُوبَاتِ كُلِّهَا . حَتَّى وَصَلَتْ عُقُوبَةُ الْحَرَمَانِ أُسْبُوعَيْنِ وَقَدْ حَارَتْ الْأُمُّ فِي أَمْرِهِ ، وَكَثِيرًا مَا تَكَلَّمَتْ مِنْ أَبِيهِ فِي هَذَا الْأَمْرِ . وَكَثِيرًا مَا حَاوَلَتْ مُرَبِّتُهُ إِصْلَاحَ وَنَصَحَتْ لَهُ بِالصَّدَقِ ، أَوْ حَرَّمَ الْخُرُوجَ بِدِرَاجَتِهِ لِلْعَبِّ بِهَا فِي الْحَدِيقَةِ ، أَوْ التَّنَزُّهُ مَعَ الْأُسْرَةِ عَلَى شَاطِئِ النَّهْرِ ، وَكَثِيرًا مَا نُصِحَ عَلَى انْفِرَادٍ ، وَأُرْسِلَ إِلَى حُجْرَةٍ نَوْمِهِ لِيَمْكُثَ فِيهَا وَحْدَهُ ، اسْتَمَرَّ حُسَامٌ يَخْتَلِقُ حِكَايَاتٍ لَا أُسَاسَ لَهَا ، وَيَقُولُ أَشْيَاءَ لَا وَجُودَ لَهَا . فَإِذَا قَالَ لَهُ رَفِيقٌ بِالْمَدْرَسَةِ : إِنَّ عِيدَ مِيلَادِي الْيَوْمَ ، وَقَدْ أَهَدْتُ إِلَى أُنَى سَاعَةِ فَضِيَّةً ، . ذَكَرَ لِرَفِيقِهِ خَبْرًا كَاذِبًا وَقَالَ لَهُ : لَقَدْ كَانَ عِيدَ مِيلَادِي أَمْسَ ، وَأَهَدْتُ إِلَى أُنَى سَاعَةِ ذَهَبِيَّةً . . وَقَدْ يَسْأَلُهُ رُفَقَاؤُهُ : وَأَيْنَ سَاعَتُكَ الذَّهَبِيَّةُ وَمَا ثَمَنُهَا ؟ فَيُجِيبُ حُسَامٌ : إِنِّي قَدْ وَضَعْتُهَا فِي خِزَانَةِ أُمِّي ، وَلَمْ يَصْدُقْ مَعَ الْأَسَفِ فِي كَلِمَةٍ مِنْهَا ، فَعِيدَ مِيلَادِي لَمْ يَكُنْ أَمْسَ ، وَلَمْ تَهْدِ إِلَيْهِ أُمُّهُ سَاعَةً ذَهَبِيَّةً أَوْ غَيْرَ ذَهَبِيَّةٍ ، بَلْ أَهَدْتُ إِلَيْهِ قِطَارًا وَسَكَّةَ حَدِيدِيَّةٍ . وَلِهَذَا أَرَى أَنَّهُ كَانَ طِفْلًا كَاذِبًا ، لَا يَلْتَزِمُ الصَّدَقَ فِيمَا يَقُولُ ، وَأَنَّ الْكَذِبَ مَرَّةً وَاحِدَةً كَثِيرًا مَا يُؤَدِّي إِلَى الْكَذِبِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ وَلَا نَعْرِفُ لِمَاذَا يَكْذِبُ ؟ وَلِمَاذَا لَا يَتَحَرَّى الصَّدَقَ فِي وَكَثِيرًا مَا قِيلَ لَهُ إِنَّ الْكَذِبَ يَضُرُّ ، وَالصَّدَقُ يُنْجِي صَاحِبَهُ ، وَالْكَذَّابُ لَا يُصَدِّقُهُ أَحَدٌ وَفِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ خَرَجَ حُسَامٌ لِيَتَنَزَّهَ فِي الْحَقُولِ ، غَرِيبَ الْمَنْظَرِ ، وَحِذَاءَ أَحْمَرَ ، وَكَانَ الْقَزَمُ مَشْغُولَ الْبَالِ ، فَقَالَ لِحُسَامٍ : أَهْلًا وَسَهْلًا بِالْوَلَدِ الصَّغِيرِ ، فَخَمَنَ حُسَامٌ ، وَهَذِهِ هِيَ الْحَلْوَى ، أَهْدِيهَا إِلَيْكَ ، مُكَافَأَةً لَكَ ، وَأَرْجُو أَنْ تَتَمَتَّعَ بِأَكْلِهَا . ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الْقَزَمِ ، وَهُوَ يَجْرِي مُسْرِعًا فِي الطَّرِيقِ الَّذِي أَخْبَرَهُ بِهِ ، وَقَدْ كَذَّبَ عَلَى الْقَزَمِ ، وَلَمْ يَقُلْ لَهُ الْحَقَّ ، وَبَدَأَ يَأْكُلُ الْحَلْوَى ، وَاسْتَمَرَّ يَأْكُلُ حَتَّى قَرَبَ مِنَ الْإِنْتِهَاءِ مِنْ أَكْلِهَا . مَيَاو ، فَسَأَلَتْهُ : هَلْ كُنْتَ تَبَحْثُ عَنِّي ؟ إِنِّي كُنْتُ هُنَا طَوْلَ الْوَقْتِ ، أَنْظِفُ نَفْسِي ، فَهَلْ ظَنَنْتُ أَنِّي خَرَجْتُ وَتَهْتُ ؟ وَإِنَّ هَذَا الْوَلَدَ الصَّغِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ رَاكَ سَائِرَةً بِسُرْعَةٍ فِي هَذَا الطَّرِيقِ . فَلَمْ أَجْنِكَ فِي الْمَكَانِ الَّذِي ذَكَرَهُ . فَقَالَتْ الْقِطَّةُ : إِنِّي أُعْجِبُ كُلَّ الْعَجَبِ أَنْ يَكْلَبَ عَلَيْكَ ، وَيَخْتَلِقَ أَشْيَاءَ لَمْ تَحْدُثْ . فَتَحَةَ الشَّجَرَةَ . فَقَالَ الْقَزَمُ : لَقَدْ أُعْطِيتُهُ قِطْعًا مِنَ الْحَلْوَى مُكَافَأَةً لَهُ ، وَقَبَضَ عَلَيْهِ مِنْ ذِرَاعِهِ ، وَقَالَ لَهُ : تَعَالَ مَعِي : لِأَعَاقِبَكَ عَلَى هَذَا الْكَذِبِ الْقَبِيحِ . أَلَا تَحْجَلُ مِنْ نَفْسِكَ ؟ هَلْ هُنَاكَ صِفَةٌ أَحْسَنُ مِنَ الصَّدَقِ ؟ لِمَاذَا تَكْلَبُ ؟ وَمَنْ يُصَدِّقُكَ ثَانِيَةً إِذَا وَدَخَلْتَ الْقِطَّةَ مَعَهُمَا . ثُمَّ أَعْلَقَ الْبَابَ ، فَوَجَدَ نَفْسَهُ فِي حُجْرَةٍ ضَيِّقَةٍ ، وَسَارَ بِهِ وَهُوَ خَائِفٌ خَوْفًا شَدِيدًا حَتَّى وَصَلَ إِلَى مَصْنَعٍ مِنَ الْمَصَانِعِ يَعْمَلُ فِيهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَقْرَامِ ، الصَّغَارِ الْأَجْسَامِ ، فَلَمَّا رَأَوْا هَذَا الْغُلَامَ ، عَجِبُوا عَجَبًا كَثِيرًا ، وَقَالَ أَشْيَاءُ لَا نَصِيبَ لَهَا مِنَ الصَّحَةِ . فَصَاحُوا جَمِيعًا : يَجِبُ أَنْ يُعَاقَبَ عَلَى كَلِيدِ عِقَابٍ شَدِيدًا : كَيْ لَا يَكْذِبَ مَرَّةً أُخْرَى . لَا يَقُولُ الصَّدَقَ لِيَأْتِي ، وَيَبْعَثَ عَنْكُمْ ، وَيَقْبِضَ عَلَيْكُمْ ، وَطَبْعًا كَانَ قَوْلُهُ كُلُّهُ كَذِبًا ، فَأَبُوهُ طَبِيبٌ مَعْرُوفٌ مِنْ أَحْسَنِ الْأَطْيَاءِ ، وَلَيْسَ بِشَرِطِيٍّ مِنَ الشَّرِطِ . بِالْخُرُوجِ وَالذَّهَابِ إِلَى بَيْتِهِ وَلَمْ يَخَفِ الْأَقْرَامُ مُطْلَقًا ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرِفُونَ لَا يَقُولُ الصَّدَقُ ؟ إِنَّ الصَّدَقَ يَنْفَعُهُ ، وَالْأَحْلِيَّةَ وَالْحَقَائِبَ الصَّغِيرَةَ وَالْكَبِيرَةَ ، وَالْأَحْزَمَةَ ، وَالْقَفَّارَاتِ ، وَقَدْ صُنِعَتْ كُلُّهَا بِمَهَارَةٍ فَائِقَةٍ . وَالنَّمِرَ ، وَالْفِيلَ ، وَاللَّبَّ ، وَالزَّرَافَةَ ، وَهُوَ أَجْمَلُ حِزَامٍ رَأَاهُ مِنْ قَبْلُ ، وَتَمَنَّى أَنْ يَهْدِيَهُ إِلَيْهِ هَذَا الْحَرَامَ ، أَنْ أَبَاهُ شَرَطَى - : إِنِّي مُعْجَبٌ بِهَذَا الْحِزَامِ ، وَأُحِبُّهُ حُبًّا كَثِيرًا ، وَإِذَا أَهْدَيْتُمُوهُ إِلَيَّ فَلَنْ أَذْكُرَ لِأَبِي شَيْئًا مِنْ جَهَنِّكُمْ . وَيَكْرَهُ الْكَذَابَ كُلَّ الْكُرْهِ ، وَلَمْ يَلْتَزِمِ الصَّدَقَ ، لِتَلْبَسَهُ عَلَى الدَّوَامِ ، حَتَّى تَتَخَلَّصَ مِنَ الْكَذِبِ الْحَرَامِ ، وَتَتَمَسَّكَ بِالصَّدَقِ فِي الْكَلَامِ . يَا حُسَام . فَقَالَ حُسَامٌ - وَكَانَ غَيْرَ مُؤَدِّبٍ فِي قَوْلِهِ - : إِنِّي لَا أَصْدُقُ مَا تَقُولُونَ : وَأَعْتَقِدُ أَنَّكُمْ الْآنَ تَكْذِبُونَ ، وَهَذَا خَطَأٌ كَبِيرٌ ، وَلَا يَقُولُ إِلَّا الْحَقَّ ، وَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ ضَرَرٌ عَلَى نَفْسِهِ ، وَالْمُؤَدِّبُ دَائِمًا صَادِقٌ فِي كُلِّ مَا يَقُولُ وَمَا يَفْعَلُ . فَقَالَ حُسَامٌ : وَلَكِنِّي أَحِبُّ هَذَا الْحَرَامَ ، مَهْمَا يَكُنْ الْأَمْرُ ، وَكَثِيرًا مَا عَالَجَنَا الْمَجَانِ ، وَتَعِدُنَا وَعْدًا صَادِقًا أَنْ تَلْتَزِمَ الصَّدَقَ فِي الْكَلَامِ ، وَسَتَأْسَفُ كَثِيرًا ، فَقَالَ كَبِيرُ الْأَقْرَامِ : تَذَكَّرْ هَذَا الْعَهْدَ . وَتَفَضَّلْ هَذَا الْحَرَامَ السَّحَرَى تَكْلَبَ بَعْدَ هَذِهِ اللَّحْظَةِ ، فَلِتَلْبَسَهُ ، وَتَذَكَّرْ نَصِيحَتَنَا لَكَ . وَإِنَّا نَسُوءُ أَنْ وَسَطَهُ ، وَأَعْجَبَ بِشَكْلِهِ ، وَفَتَحَ بَابَ الْبَيْتِ الصَّغِيرِ وَسَارَ فِي الْغَايَةِ بِسُرْعَةٍ ، حَتَّى رَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ ، وَهُوَ وَقَدْ صُنِعَ فَوْقَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ بِشَكْلِ جَمِيلٍ وَحِينَمَا رَأَى أَصْدِقَاؤُهُ فِي الْمَدْرَسَةِ هَذَا الْحَرَامَ عَجِبُوا بِهِ إِعْجَابًا كَثِيرًا ، وَتَمَنَّى كُلُّ مِنْهُمْ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ حِزَامٌ مِثْلَهُ . وَقَدْ صَمَّمَ حُسَامٌ فِي نَفْسِهِ أَلَّا يَقُولَ لَهُمْ كَيْفَ حَصَلَ عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَصْدُقْ فِي كَلِمَةٍ مِنْهُ ، فَعَمَهُ لَيْسَ فِي السُّودَانِ ، لِأَنَّ الْمُؤَدِّبَ الْحَسَنَ الْخُلُقِ يَصْدُقُ دَائِمًا ، وَيَقُولُ الْحَقَّ دَائِمًا ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكْذِبَ ، وَيَبْتَغِدَ عَنْ كُلِّ مَنْ يَكْذِبُ ، الْأَدَبُ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَالتَّوْبَةُ . وَعَلَّقَهُ عَلَى الْمَشْجَبِ (الشَّمَاعَةِ) ، وَبَدَأَ التَّلَامِيذُ يَسْأَلُونَهُ : مَنْ أَيْنَ اشْتَرَيْتَ هَذَا الْحِزَامَ الْبَدِيعَ ؟ نَرْجُو أَنْ تَسْمَحَ لَنَا بِرُؤْيَيْهِ فَسَمَحَ لَهُمْ حُسَامٌ بِرُؤْيِيهِ الْحِزَامِ ، وَإِلَى الْأَمَامِ لِيَرَوْهُ مِنْ كُلِّ جِهَةٍ مِنَ الْجِهَاتِ . وَقَالَ لَهُمْ : وَإِنْ لِي عَمَّا فِي السُّودَانِ أُرْسَلَهُ إِلَى

هَدِيَّةٌ لِإِعْجَابِهِ بِأَدَبِي . وَحُسْنِ خُلُقِي . وَسِيَمَزُهُ تَمْزِيْقًا ، فَقَدْ كَذَبَ عَلَى إِخْوَانِهِ ، وَحِينَمَا اشْتَدَّ عَلَيْهِ الضَّغْطُ ، وَتَذَكَّرَ التَّعْهَدَ الَّذِي تَعْهَدَ بِهِ ، الَّذِي وَعَدَ بِهِ . تَذَكَّرَ أَنَّ هَذَا حِرَامُ الصِّدْقِ * حِرَامُ الْحَقِّ ، وَلِشِدَّةِ الْعَذَابِ وَالْأَلَمِ أَحَى بِصِدْقِ الْأَقْزَامِ فِي تَطْيِيرِهِمْ وَتَهْدِيهِمْ إِيَّاهُ ، وَقَدْ نَهَيْمَ عَلَى مَا فَقَالَ : وَتَمْنَى أَنْ يَزُولَ هَذَا الضَّغْطُ وَالْقَطِيبُ ، وَيَذَكَّرَ الْحَقِيقَةَ ، وَيَتَمَسَّكَ بِالصِّدْقِ ، وَيَبْتَغِدَ عَنِ الْكَلْبِ وَيَتَوَبُّ إِلَى اللَّهِ ، مِنْ غَيْرِ زِيَادَةِ كَلِمَةٍ ، أَوْ نَقْصِ كَلِمَةٍ ، وَفِي اللَّحْظَةِ الَّتِي بَدَأَ يَقُولُ فِيهَا الْحَقِيقَةَ بَدَأَ الضَّغْطُ . وَحِينَمَا انْتَهَى مِنْ قِصَّتِهِ بِالصِّدْقِ زَالَ عَنْهُ الضَّغْطُ وَعَادَ إِلَى حَجْمِهِ الطَّبِيعِيِّ الْأَوَّلِ . عَرَفَ التَّلَامِيذُ سِرَّ هَذَا الْحِزَامِ السَّحَرِيِّ الْعَجِيبِ ، وَسَرُّوا بِرُؤْيَيْهِ سُرُورًا كَثِيرًا ، وَقَالُوا لَهُ : الْآنَ يَا حُسَامُ ، يَجِبُ أَنْ تَقُولَ الصِّدْقَ عَلَى الدَّوَامِ ، وَإِلَّا سَخَطَ عَلَيْكَ الْحِرَامُ ، وَسَنُعَاقِبُكَ حِينَمَا تَكْذِبُ . وَذَهَبَ كُلُّ تَلْمِيذٍ إِلَى فَصْلِهِ . وَقَدْ عَزَمَ حُسَامٌ فِي نَفْسِهِ أَلَّا يَلْبَسَ الْحِزَامَ ، وَأَنْ 6 يَطْلُعَهُ حِينَمَا يَرْجِعُ إِلَى الْبَيْتِ ، وَيَرْمِيهِ بَعِيدًا وَيَتَخَلَّصَ مِنْهُ . وَلَكِنْ حِينَمَا وَصَلَ إِلَى الْبَيْتِ ، بَعْدَ أَنْ رَجَعَ مِنَ الْمَدْرَسَةِ ، فَقَالَتْهُ : مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ بِهِذَا الْحِزَامِ ، يَا حُسَامُ ؟ فَأَجَابَ حُسَامُ : إِنَّ تَلْمِيذًا مِنَ التَّلَامِيذِ بِالْمَدْرَسَةِ أَعْطَانِي هَذَا الْحِرَامَ ، وَلَمْ يَصْدُقْ فِي جَوَابِهِ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُرِدْ أَنْ تَعْرِفَ أُمُّهُ الْحَقِيقَةَ . وَفِي اللَّحْظَةِ الَّتِي كَذَبَ فِيهَا ضَغَطَ الْحِرَامُ عَلَى وَسْطِهِ ضَغْطًا شَدِيدًا ، فَتَدَمَّ ، وَأَخْبَرَ أُمَّهُ حَتَّى صَعِبَ عَلَيْهِ بِالْحَقِيقَةِ ، وَيُؤَلِّمِي أَنْ يَذْكُرَ التَّلَامِيذُ أَنَّ ابْنِي كَذَّابٌ . وَإِنَّهَا عُقُوبَةٌ مُفِيدَةٌ ، وَقَدْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ الْأَقْزَامُ كُلَّ الْإِحْسَانِ ، وَاسْتَأْذَنَ أُمُّهُ فِي رَبِّيهِ بَعِيدًا . فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : مِنَ الْمُسْتَحِيلِ أَنْ أَسْمَحَ لَكَ بِرَمِيهِ أَوْ إِخْفَائِهِ ، أَوْ التَّخَلُّصِ مِنْهُ . فِي كُلِّ لَحْظَةٍ ، لَيْلًا وَنَهَارًا ، وَتَتَمَسَّكَ بِالصِّدْقِ ، وَتُحِبُّكَ أَبُوتُ وَيَرْضَى عَنْكَ ، وَلَكِنْ لَا فَائِدَةَ مِنَ الْبُكَاءِ . وَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَكْذِبُ فِيهَا كَانَ الْحِرَامُ يُعَذِّبُهُ بِشِدَّةِ الضَّغْطِ . وَالتَّلَامِيذُ يَضْحَكُونَ مِنْهُ ، وَفِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ كَانَ الْحِزَامُ يَضْغُطُ . وَيَقُولُ لِنَفْسِهِ إِنِّي مَا كُنْتُ أَحْسَ حَقِيقَةَ بَأْتِي الْكَذْبُ كَثِيرًا بِهِلِهِ الدَّرَجَةُ ، فَقَدْ كَانَ رُفْعَالِي جَمِيعًا لَا يَصْدُقُونِي فِي أَيِّ شَيْءٍ أَقُولُهُ فَقَدْ احْتَبَيْتُ الْكَذْبَ ، وَكُنْتُ أَتَكَلَّمُ مِنْ غَيْرِ تَفْكِيرٍ ، وَيَغِيرُ حِسَابٍ ، وَلَا التَّزَمَ الصِّدْقِ ، وَلَكِنْ مِنَ الْغَدِ سَأَفْكَرُ تَفْكِيرًا عَمِيقًا وَسَأَتَمَسَّكَ بِالصِّدْقِ قَبْلَ أَنْ أَتَكَلَّمَ ، وَفِي الْعَدِ سُرَّ حُسَامٌ كَثِيرًا ؛ لِأَنَّ الْحِرَامَ لَمْ يَضْغُطْ عَلَيْهِ إِلَّا مَرَّتَيْنِ ، وَكَذَبَ مَرَّتَيْنِ ، وَبَدَأَ وَجْهُهُ يَحْمَرُّ مِنَ الْخَجَلِ ، وَيَلْتَزِمُ الصِّدْقَ ، وَيُفَكِّرُ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ يَقُولُهَا . وَاسْتَمَرَّ يَلْبَسُ الْحِزَامَ ، وَلَمْ يُحْسَ بِضَغْطِ أَوْ تَعْذِيبِ ، وَصَارَ لِبَسُهُ مُرِيحًا لَا أَلَمَ مِنْهُ ، فَقَدْ تَرَكَ الْكَذْبَ . وَوَعَدَ أُمُّهُ وَعَدًا صَادِقًا أَنَّهُ مَبْدَأَ حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ ، فَقَالَتْ لَهُ وَاللَّهِ : يَجِبُ أَنْ تَلْبَسَهُ دَائِمًا حَتَّى تَعْتَادَ قَوْلَ الصِّدْقِ . وَلَا ضَرَرَ عَلَيْكَ مِنْ لُبْسِهِ مَا دَنْتَ تَقُولَ الصِّدْقَ ، وَتَتَمَسَّكَ بِالْحَقِيقَةِ ،